الاستقامة
في
القرآن الكريم

إعداد
د. فايز بن حبيب دخيل الترجمي

المقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، والذي أخرج المرعى، فجعله غثاء أحوال، أحدهم حمدًا يليق بجلال وجهه وعظم
سلطانه، فهو أهل لأن يحمد، فما أعظم منه وفضله علينا، فكل الله
الحمد حمدًا أسلتهم به رضاك، وأستمد به العون منك في الاستقامة على طاعتك والسير على مرضاك، فأسأل الله أن تلهمني رشدي وأن تعبدني
من شر نفسي ونزغات الشيطان، وأن تقوّم ما فسد من حالي، وتصلح لي
ما أعطنتي، ثم أما بعد:

فهذا مكتوب في الاستقامة وسميته بـ«الاستقامة في القرآن الكريم».

(1) الأستاذ المساعد بكلية القرآن الكريم الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
وقد حدا بي للكتابة فيه أمران:

الأول: أهميته، فإن الدخول في هذا الدين قد يهون، ويسهل على العبد فينطاق بالشهادتين، ويقر بها كما ماذا بعد ذلك من الاستقامة على معناها والمحافظة على تعاليم هذا الدين وتكييفه ومراعته تحصيل الكمال في ذلك؟ إن الإيمان بالأفعال والأقوال على أكل صورها وهيئتها أمر يشغ ويصعب على الكثير من الناس، خصوصاً ونحن نعيش أزهرنا متأخرة، فتح على الناس فيها من الدنيا والمغريات والشهوات ما الله عليه، مما كان له عظيم الأثر في صرف الكثير من المسلمين عن الاستقامة على دينهم، فأصبحت ترى إسلام بعضهم في هويته فقط، وأما حوايله وما شغف به قلبه وما تقتربه جواريه، وتتلبس به صباح مساء في الإسلام في شيء، فألقى مثل هذا من الاستقامة التي تستدعي الدوام والأثر على تعاليم الدين.

حتى الامام، [أَكْبَرْ ْرَبِّيَّةَ ُّ ْبَيْتِكَ ُّ ُّ]} (الحجر: 99).

ثانيًا: أن الاستقامة عبادة قلبية لها عظيم الأثر على القلب واستقامته، وهو أمر الجوهر وقائدها، به صلاحها وفسادها، واستقامة القلب بيني العبد ثمرة عظيمة ولذة بالغة وسعادة كبيرة، لا توازيها لذة من لذات البدن، التي يركض وراءها الكثير من عالم اليوم، فالسعادة سعادة الروح والقلب، ولا تكون إلا في طاعة الله والاستقامة على أمره.

إذن البأس لشامع بين ميضة وراء لذة البدن ومن يسبع وراء لذة الروح، فأول ركض وراء سراب لا يدركه، وغاية لا يحصلها، ومهم حصول من تلك اللذات فإنها لا تكيح جماع النفس، فلا يزال يركض ويلهث حتى ربما آل به الأمر إلى إهراق روحو، لأنه لم يحقق لها مناها، ولم يصل إلى متناها، وأما الثاني الذي يسبع وراء لذة الروح فإنها لن يجدها إلا في طاعة الله، وكلما استقام على تلك الطاعة كلما ازدادت تلك اللذة وزاد انشراح الصدر، والسعي له الأفق، ووعمت عند الهندار حتى يبصر الأشياء على حقائقها، ويبين له منها النافع والضرر بل لا يزال يترقى في
لذا فقد نعيم في هذه الدنيا فراضي يبه ويسعد نفسه ورونه ويتوفى على صحته وبدنه وقواته وحفظها الله عليه، حتى يصل إلى النعيم الأكبر في الآخرة {في مَقْعَدِ صَبَّرٍ عندَ مَلَكِ مَقْتِدِرٍ} [القرآن: 65].

خطة البحث:

وقد سرت في هذا البحث على الخطة الآتية:

جعلته في مقدمة وضيفة فصول وخاتمة.

المقدمة: في أهمية الموضوع وسبب اختياره وخطه ومنهج البحث فيه.

الفصل الأول: في معنى الاستقامة في اللغة والصطلح ومعناها في القرآن الكريم.

الفصل الثاني: أهمية الاستقامة.

الفصل الثالث: متعلقات الاستقامة.

الفصل الرابع: أسباب تحصيل الاستقامة.

الفصل الخامس: درجات الاستقامة.

الفصل السادس: ثمار الاستقامة.

منهج البحث:

حاولت في هذا البحث تتبع لفظ الاستقامة في القرآن، ومادته التي اشتق منها، {قوم} وردت لعرفة دلالتها ومعانيها وما يترتب على ذلك من ثمار وأسباب لتحصيلها.

والم ألتقت إلى بقية الألفاظ التي قد تكون في معناها ومدلولها قريبة

الابة = 48
من الاستقامة، كما أثني لم أهتم ببيان معنى الاستقامة الإجمالي الذي يوازي الصلاح والتقوى ونحو ذلك من العبائر بل جعلت الجهد منصباً على اللظ ودلالته.

وأيضاً في هذا البحث من ضوابط توثيق الله وتسدين وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان، وأمل في كل قارئ ومطلع على هذا البحث أن يسدد ما فيه من خلل، ويرشدني إليه على العنوان التالي:

Fayz-alturjume@hotmail.com

جوال: 0537 378 870

وله مني خالص الدعاء بأن يجزل الله له المثوبة، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين.
الفصل الأول

في معنى الاستقامة لغةً واصطلاحًا، ومعناها في القرآن الكريم

الاستقامة لغة:


واصطلاحًا:

قال ابن رجب: الاستقامة هي سلوك الصراط المستقيم وهو الدين القائم ومن غير تعريج عنه بيمنة ولا يسره ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة وترك المنهيات كلها كذلك فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الدين كلها(1).

(1) انظر: مادة قوم في لسان العرب (1487/12, 498, 499)، والقاموس المحيط ص(1487/12, 498). ومختار الصحاح ص(510/16, 508).
(2) انظر: جامع العلوم والحكم (510/16, 508).
وقال الجرجاني: الاستقامة هي الوفاء بالعهد كلها وملازمة الصراط المستقيم برعاية حد التوسط في كل الأمور من الطعام والشراب واللباس.
وفي كل أمر ديني ودنيوي فذلك هو الصراط المستقيم كالصراط المستقيم في الآخرة(1).

وقال ابن القيم: كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين وهي القيام بين بدي الله على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد، والاستقامة تتعلق بالأفعال، والأعمال، والأحوال والنوايا.

والاستقامة فيها: وقوعها الله، وبعثه وعلى أمر الله.

قال بعض المعلمين: كن صاحب الاستقامة لا طالب الكرامة فإن نفسك متحرك في طلب الكرامة. وريك يطالب بالاستقامة.

وقال أيضاً: هي روح تحيا بها الأحوال، كما تربو للعامة عليها الأعمال، وهي برزخ بين وهاد التفرق وروابي الجمع. شبه الاستقامة للحال بمنزلة الروح للبدن، فكما أن البدن إذا خلأ عن الروح فهو ميت، فكذلك الحال إذا خلأ عن الاستقامة فهو فاسد.

أما كونها برزخاً بين وهاد التفرق وروابي الجمع، فالبرزخ هو الحاجز بين شيئين متغايرين والوهاد الأمكنة المنخفضة من الأرض واستعراها للفرق. لأنها تحجب من يكون فيها عن مطالعة ما يراه من هو على الروابي ولأن حال صاحب الوهاد أنزل وأدنى من حال صاحب الروابي.

وشبه حال صاحب الجمع بحال من على الروابي لعلومه ولأن الروابي تكشف لمن عليها القريب والبعيد، وصاحب الجمع تكشف له الحقيقية المحتجبة عن صاحب التفرق، إذا عرف هذا فمعنى كونها برزخاً أن السالك

(1) انظر: التعريفات للجرياني ص(8).

مَعَنِيِّ الإِسْتَقْامَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ


وتأتي الاستقامة أحياناً بمعناها الإجمالي الذي هو قريب من معنى النقاء والهدى والصلاح.


(1) انظر: مدارج السالكين (2/110، 111).
لا يمكنني قراءة النص العربي المكتوب بالخط اليدوي من الصورة. من فضلك قم بتقديم الصورة التي ترغب في قراءتها بشكل ذكي.
المراجع بهم قالوا ذلك عن اعتقاد، فإن الأصل في الكلام الصدق وهو مطابقة الخبر الواقع وما في الوجود الخارجي.

وقوله: ُرَبِّنَا أُمَّةٌ أُمِّرُونَ َ ُوَيْدُ العصر يتبعه المسند إليه والمسنود، أي: لا رب لنا إلا الله، وذلك جامع لأصل الاعتقاد الحق لأن الإقرار بالتوحيد يزيل المانع من تصديق الرسول  فيما جاء به إذ لم يصّد المشركين عن الإيمان بما جاء به النبي إلا أنه أمرهم بنبذ عبادة غير الله، ولأن التكبير بالبعث تلقّى من دعاء الشرك.

والاستقامة حقيقةها: عدم الأعوجاج والميل، والسنين والتأن فيها للمبالغة في التقويم، فحقيقة استقام: استقل غير مائل ولا منحن، وتطلق الاستقامة بوجه الاستعارة على ما يجعل معنى حسن العمل والتيرة على الحق والصدق قال تعالى: ُقَاتِلُوا َنَفْسَتَكُمْ وَقَاتِلُوا َالَّذِينَ يَفْتَرُونَ ُ(النور: 7) ، وقال: ُقَاتِلُوا َكُلَّ مَنْ كَذَّبَ مِنَ الْمُؤْتَمِمِينَ ُ(المؤمنين: 112) ، ويقال: استقامت البلاد للملك، أي: أطاعت، ومنه قوله تعالى: ُقُلْ أَسْتَقُرِّبْنَا لَكُمْ أَسْتَقْطَبْنَا هَمْ ُ(الأنبأ: 17) .

هنا يشمل معنى الوفاء بما كلفوه به وأول ما يشتمل من ذلك أن يثبتوا على أصل التوحيد أي: لا يغبروا ولا يرجعوا عنه... وتعريب المسند إليه بالموصولة دون أن يقال: إن المؤمنين ونحوهم لما في الصلة من الإمام إلى أنها سبب ثبوت المسند للمسنود إليه فيفيد أن تنزل الملائكة عليهم بذلك الكرامة مسببًا على قولهم: ُقُولُوا ُرَبِّنَا أُمَّةٌ أُمِّرُونَ َ واستقامتهم فإن الاعتقاد الحق والإقبال على العمل الصالح هما سبب الفوز.

(المهم) للتراحي الرتبي لأن الاستقامة زائدة في المرتبة على الإقرار بالتوحيد لأنها تشمل وتشمل النبات على العمل بما يستدعيه، ولأن الاستقامة دليل على أن قولهم: ُرَبِّنَا أُمَّةٌ أُمِّرُونَ َ كان قوله منبعثًا عن اعتقاد الضمير والمعرفة الحقيقية.

وجمع قولهم: ُقُولُوا ُرَبِّنَا أُمَّةٌ Aَُمِّرُونَ َ ُوَيْدُ و قاتلوا ُكُلَّ مَنْ كَذَّبَ مِنَ الْمُؤْتَمِمِينَ َ أَصْلُي الكمال الإسلامي، فقوله: ُقُولُوا ُرَبِّنَا أُمَّةٌ َ مشير إلى الكمال النفسي وهو معرفة الحق

وقوله: «قُلُوا رَبَّنَا اسْتَغْفِرْ لَنَا وَارْضَعْنَا وَأَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» هي في معناها مثل كلمة التوحيد فقوله تعالى: «قُلُوا رَبَّنَا اسْتَغْفِرْ لَنَا وَارْضَعْنَا وَأَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» تقابل لا إله إلا الله TA.* ي مقابل محمد رسول الله. إذ لا تصح الاستقامة إلا بعرفة نبينا محمد وهديه والثبت على ذلك. وهي أيضاً مثل قوله تعالى: «قُلُوا أَنْ تَذَرْنَ الْأَحْمَالَ لِلَّهِ وَأَنتُمْ لَذَا الْأَحْمَالُ لَذَا» [البقرة: 199]، فقوله: «أَنتُمْ لَذَّاء الْأَحْمَالَ لَذَّاء الْأَحْمَالُ لَذَا» يقابل «قُلُوا أَنْ تَذَرْنَ الْأَحْمَالَ لِلَّهِ وَأَنتُمْ لَذَا الْأَحْمَالُ لَذَا» يقابل "قم باستغفار" بل هذه أعم لأن الاستغفار جزء من الاستقامة.

وقد أمر الله تعالى بإقامة الدين كله فقال جل شأنه: "قُمْ لَّمَّا نَذَرْتُمْ أَنْ يَنْصُرَكُمْ الَّذِي أَرْسَلْتُ إِلَيْهِ وَأَنْذَرْنِي إِلَيْهِ" [الشورى: 13]، وأمر بإقامة الصلاة في غير موضع من كتابه كما أمر بالاستقامة على التوحيد.

---

(1) التحرير والتنوير (282/284-282/24) بتصرف بسير.
الفصل الثاني
أهمية الاستقامة

إن سعادة العبدين في حياته الدنيا والآخرة مرتبطة بتزكية نفسه ولا تكون تلك التزكية إلا بتقويم النفس على دين الله وشرعه. كما قال تعالى: ﴿فَقَدْ أَفْتَلَنَّ مَنْ زَكَّاهُ ﴾[النساء: 9] وكان حقًا على الباب الحذق أن يحرص كل الحريص على الاستقامة على المنهج الصحيح الذي يسعد به في دنياه وأخراه.

وكلما ترقى الإنسان في درجات الكمال الإنساني كلما تحقق له من سعادة الدنيا والآخرة النصيب الأكبر والحظ الأوفر. ومن شأن الاستقامة أن ترقى بصاحبها إلى درجات الكمال وتحفظ عقله من أن يتطرق إليه الفساد وتصون نفسه من التردي في حياة الرذيلة.

وإذا سيطرت الرغبة في الاستقامة على الأفراد والجماعات وسادت بينهم حسن أحوالهم واستقامت أمرهم وعمهم الأمان والسلام وسط الله عليهم من بركات السماء والأرض.

وقد اهتم الإسلام بتقويم الإنسان والرقي به في درجات الكمال فما من خلق فاضل محمود إلا وأمر به وما من خلق سيئ مذموم إلا وحذر منه.

ولهذا أنت الأوامر بالاستقامة في مواطن كثيرة من الكتاب والسنة: أحياناً موجهة لقائد الأمة وإمامها ونبيها ﷺ، فإنّكم كنا أمرت [هود: 114]، وأحياناً موجهة للأمة: ﴿وَأَرْضَىَ ابْنُائُكُمْ إِيَّاهَا نَزْيِقُوهُ﴾[الأنبياء: 12]، وأحياناً بالبحث على الاستقامة ببيان الشمار المتربتة عليها في الدنيا والآخرة، وأحياناً ببيان أنها مئة وفضل يصطفى الله له من يشاء من عباده المؤمنين ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لِكَيْدٍ لَّهُمْ إِلَى صُرُوعِ الْقُرْءَانِ﴾[الحج: 64]، وأحياناً ببيان أنها هي...
الطريق الذي يدعو إليه خاتم أنبياء رسوله محمد ﷺ: "ويلك نبئي إلى صيرور مُستقيمة" [الشريعة: 92]، وأحياناً بالأمر بلزوم الاستقامة حتى الموت "واعتقِد ربك حتى يأتوك أطيافٌ عظيمة" [الحج: 99].

بل جعل الله أحب الأعمال الصالحة إليه ما استقام عليه صاحبه وداوم عليه كما في الحديث الصحيح: «إن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل» (1).

وكان أحب الدين إلى نبينا ﷺ ما دام صاحبه عليه (2).

وتبرز أهمية الاستقامة من خلال الأمور التالية:

اولًا: الأمر بالاستقامة:

لأعظم أمر الاستقامة وأهميته أمر الله بها عبادة المؤمنين في غير ما آية من القرآن الكريم، قال تعالى: "أمَّا الذي يؤمن بِالله ورسولِهِ وَيَعْمَلْ بِالصَّالِحَاتِ فَلَا كَأَنَّهُ يُضَلَّ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا ۖ وَلَا يَضْرِبُونَهَا" [هود: 112] فأمر الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ والمؤمنين بالاستقامة على أمر الله ودينه وشرعه، والثواب على ذلك، ونهى عن ضد الاستقامة وهو الطغيان وتجاوز أمر الله إلى ما نهي عنه، وأعلهم أنه بصير بأعمال العباد خيرها وشرها لا يخفى عليه من ذلك شيء.

انظر: صحيح البخاري مع الفتح - كتاب اللباس - باب الجلوس على الحصير ونحوه (134/10، رقم 5861).

(2) أخرجه النسائي في سنته - كتاب الإمامان وشروطه - باب أحب الدين إلى الله (123/8، رقم 935) من حديث أم المؤمنين عائشة. وهو في الصحيحين بلغة: "أي العمل كان أحب إلى النبي ﷺ قال: "الذائع". انظر: صحيح البخاري مع الفتح كتاب التهجد باب من نام عند النهر (112/3، رقم 1122)، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة الليل... (511/1، رقم 131).
وسيجازهم على ذلك.

بِلْ أَمَرَ اللَّهُ بِهَا حَتَّى الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بِشَرَّ مُنْتَكِرٌ يُوحِيُّ إِلَى أَنْصُرٍ إِلَيْهِ وَجَدْنَا قَبْسِيكُمْ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرْتُوهُ} [فصلت: 21] فَأَمَّرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ بِأن يُقُولُ لِلْمُشْرِكِينَ الْمُكذِّبِينَ الْمَعْرِضِينَ عَنْ قِبْلَةٍ مَا جَاءَ به إِنَّمَا أَنَا بِشَرَّ مُنْتَكِرٌ فَمِنَ الْأَهْدَمَ وَمِنَ الْأَعْمَى، وَمِنَ الْجِنَّ وَالْجِنَّاتِ، لَسْتُم بِمَلِكِيَّةٍ يُحْيِي إِلَيْهِ دِينًا إِلَّا لِمَعْبُودٍ وَاحِدٍ. مَا رَسَلْنَا بِهِ لَا يَخْرُجُ مِنْ ذِنْبٍ يَخْرُجُ مِنْ ذِنْبِهِ. وَلَوْ جُنِّبَ الْمُشْرِكُونَ الْعَبْدَةَ الْأُخْرَى، أَسْتَغْفِرْتُوهُ؟ {وَأَسْتَغْفِرْنَا إِلَيْهِ} أي: بِالْتَّوْهِيدِ وَالْبَطْهَةِ وَالْإِخْلاَصِ، وَوَجَهُوا إِلَيْهِ وَوُجِّهُوا إِلَيْهِ. إِنَّهُ مَعْلُوَّفًا عِمَّا

وَلَنْ نَحْصِواۚ}

وَقَالَ تَعَالَى: {قَلْ لَوْ أَتَيْنَاكُمْ صَدْقًا وَأَسْتَغْفُرْنَا} [الشورى: 15] أي: إِلَى ذُلِّكَ الْأَنْعَامِ الَّذِينَ يُعَوَّنُونَهُمْ بَيْنَ الْمُلْكِ وَالْأَمْرِ بِهِمْ يَضُرَّ بِأَنتَ. وَلَيْسَ عِنْدَنَا نُشَاةٌ كَأَنْ يَتَأَمَّلُوا نُشَاةً. فَحَتَّى لَا يَبْلِغُ مَا زَقَّنَّ أَمْرَكَ بِهِ. وَأَنَا أَحْزَنَى أَنْ أَلْحَقَنَّهُ إِلَّا لِأَنْ أَنْفُخُ فِيهِ. {وَلَوْ أَتَيْنَاكُمْ} [الشورى: 15] أي: إِلَى ذُلِّكَ الْأَنْعَامِ الَّذِينَ يُعَوَّنُونَهُمْ بَيْنَ الْمُلْكِ وَالْأَمْرِ بِهِمْ يَضُرَّ بِأَنتَ. وَلَيْسَ عِنْدَنَا نُشَاةٌ كَأَنْ يَتَأَمَّلُوا نُشَاةً. فَحَتَّى لَا يَبْلِغُ مَا زَقَّنَّ أَمْرَكَ بِهِ. وَأَنَا أَحْزَنَى أَنْ أَلْحَقَنَّهُ إِلَّا لِأَنْ أَنْفُخُ فِيهِ.

(1) انظر: تفسير الطبري (12/599، ومدارج السالكين (6/1814)، وتفسير ابن كثير.
(2) انظر: تفسير الطبري (20/378/277/278/109)، ومدارج السالكين (6/1814). وهو حديث رواه الإمام أحمد في مسلم (277/1) في مجمه في سنة كتاب الطهارة وسننها - باب المحافظة على الوضوء (1/102)، رقم (779)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه برقم (234).

ثانياً: فضل الاستقامة وثوابها:

إذ مما يدفع على الاستقامة وتكرد المشاق في سبيل تحقيقها على أكمل وجه ما يرتب عليها من جزيل الثواب وعظم الأمر الذي أعد الله لأهلها.

---

(1) أُنْظِرُ: تفسير ابن كثير (8/3120)
(2) الحديث صحيح من غير قوله: «فقيل له: لم ذلك...؟» إلخ. رواه الترمذي في سنن...
(3) كتاب التفسير سورة الواقعة (375/5) رقم (3776)، وصححه الألباني في الصحيفة برج (950).
(4) تقدم تخرجه بريقاً ص (61).
ومن يتأمل الشمرة التي يجنبها صاحب الاستقامة يجد أمري عجباً من
الشمار العاجلة والآجلة في الدنيا والآخرة، فتأمل قوله تعالى: «إِنَّ الْآدِمَ قَالَ إِنَّمَا أَنْتُمْ أَمْيَاسٌ عِلْيَاهُمْ 」 [فصلت: 30] أي: عند
الموت وساعة الاحتساب قالين: "أَلَئِنْ تَحْرُّواْ" على ما خلفتموه وراءكم من أمر الدنيا من ولد
وأهل ومال فإننا نخففكم فيه ضرر وآيتناplaAcceptedpla عند نفيهم هذه البشائر كلها مقرون بالاستقامة
على أمر الله إذ خلقنا الله لعبادته والاستقامة عليها حتى الموت كما قال جل
شأنه: "وَلَبِثَ رَبِّكَ حَتَّى يَتُوبَ الْيَتِيمُ" [الحجر: 99] أي: الموت، كما
جاء في حديث البراء أن الملائكة تقول لروح المؤمن: اخرجى أيتها الروح
الطيبة في الجسد الطيب كنت تعرينها، اخرجى إلى روح وريحان ورب غير
غضب ان(1).

وحكي ابن جرير عن ابن عباس: والسدي أن الملائكة تنزل عليهم
يوم خروجهم من قبورهم وقال زيد بن أسلم: يبشرون عند موته، وفي
قبله، وحين يبعث، روآب ابن أبي حاتم. قال ابن كثير: وهذا القول يجمع
الأقوال كلها وهو حسن جدًا، وهو الواقع.

وقول: «ثُمَّ أُمِلِكَتُمْ في الْحَيَاةِ الْآ扬尘ِيَّةِ وِفِي الْأَخِرَةِ» أي: تقول
الملائكة للمؤمنين عند الاحتساب: إنكم أولىكم، أي: قننةكم في
الحياة الدنيا، نصدكم ونوقفكم، ونحفظكم بأمر الله، وكذلك تكون معكم
في الآخرة تؤمنفس منكمو الوحشة في القبور، عند النفخة في الصور،
وتنعمكم يوم البعث والنشور، ونجاؤ بك صرف المراط المستقيم، ونوصلكم إلى

(1) لم أجد بهذ اللفظ وأصله صحيح من حديث البراء، رواه الإمام أحمد في المسند
(287، 288/4)، وأبو داود في سنن كتاب السنة باب في المسالة في القبر (371/1 وصححه على شرط الشيخين
وافاقهذه، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (198 - 202) رقم (105).
جنت النعيم. «وَلَكَمْ فِيهَا مَا تَشَهَى أَنْفُسُكُمْ» أي: في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتته النفوس، وتقر به العيون، «وَلَكَمْ فِيهَا مَا تَشَهَى أَنْفُسُكُمْ» أي: مهما طلبتتم وجذبتتم، وحضر بين أيديكم، أي: اختبرتم، «نِعْمَى يَمْنُ عْفُورٍ مَرْحَمٍ» أي: ضيافة وعطاء وإناجًا من غفور للذنوب، رحم بكم رؤوف، حيث غفر وستر ورحم وله».

ومثل هذه الآية في المعنى قول الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَقْدِرُ عَلَى مَا أَنتُمْ تَعْمَلُونَ» (الحج: 14). 

وقال سبحانه في آية ثالثة عن مسلمي الجنة: «وَلَوْ أَسْتَمَعْتُمْ عَلَى الْبِرَّ وَالْعِدْلِ لَجُعِلْتُنَّ لِلَّهِ نَاسًةً عَظِيمَةً» (الأنفال: 17).

وفي معنى هذه الآية قولان:


والثاني: أي: لو استقامتوا على طريقة البلاء لأوسعنا عليهم في الرزق.

(1) انظر: تفسير ابن كثير (7/3105، 3104)
استدراجاًً كما قال سبحانه: «فَلَعَلَّهُمَا بِذَٰلِكَ يَنفَسُونَ وَهُمْ عَلَىٰ نُضَيْفَ الْمُضْطَرِبِينَ» (الأنعام: 64).

وقوله: «أَيُّهَا النَّبِيُّ آتُّمِّ حُكُمَاهُ مِنْ نَّاسٍ وَمِنْ نَّاسٍ شَاءَ اللَّهُ مِنكَ وَمِنْهُمْ فِي الْقُرْآنِ لَآ يُعْرَفُونَ» (المومنين: 56)، «وَمَنْ يُعْرَفُ عَنْ ذَٰلِكَ رَبَّهُ يَسْلَكُ بَعْدًا عَدَادًا» (الجن: 17) أي: شاقًا شديداً مؤلمًا لا راحة فيه.

ثالثاً: وصف الرض سبحانه وتعالى نفسه بأنه على صراط مستقيم:

كما قال جل شأنه على لسان هود عليه السلام: «إِنَّ رَبِّي لَقَدْ نُوْفَكَ عَلَىٰ أَنْ لَدَيْهِ رَقٌّ وَيُكَرِّرْ مَا مِنْ نَّاسٍ إِلَّا أَنْ يُنْجِسَهُمْ وَيُصَلِّي عَلَىٰ مَسْتَقِيمٍ» (مر: 56) فهو سبحانه على صراط مستقيم في قوله وفعله فهو يقول الحق ويفعل العدل فالصراط المستقيم الذي عليه سبحانه وتعالى هو مقتضى التوحيد والعدل فالصداق مستقيم الذي على عباده وتعالى هو شاهد على التوحيد. وقد جاء في النحل: 71، «فهذا مثل ضربه الله لنفسه وللنصم فهو سبحانه الذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم والنصم مثل العبد الذي هو كل على مولاداً يوجهه لا يأت بخير فكيف يصبر في على عبادة الله الذي يأمر بالعدل والتوحيد وهو قادر متكمل غنى وهو على صراط مستقيم في قوله وفعله فقوله صدى ورشد ونصح وهدى وفعله حكمة وعدل ورحمة ومصلحة هذا أصح الأقوال في الآية وهو سبحانه أحق من كان على صراط مستقيم فالشرع والقدر والخلق والأمر والثواب والعقاب قائم بالعدل والتوحيد صادر عنهما وهذا هو الصراط المستقيم الذي عليه.

الرب سبحانه وتعالى، وقال تعالى: «شهد الله أنم لا إلا هو وملكته وأولو القدر قابلاً للملكيه لا إلا هو السببيح (ال عمران: 18).»


رابعًا: وصف الله صراطه والطريق الموصل إليه بالاستقامة:

وذلك في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: «فمن يؤمن بِالله أنَّ يَهُودِيَةٌ يَسَعُ صَدَّٰرَةٍ لِلِّإِسْلاَمِ وَمَن يَعْلَمُ أَنَّ يُجَالِبَهُ يَجْحَلُ صَدَرَهُ مُضْحَكَةً صَدَرَهُ خَيْبًا حَرَى وَكَأَنَّهَا يُصَمَّدْنَى فِي ِكَسَاءَتِهِ وَكَأَنَّ الْحَيَّ أَرْجِحُ عَلَى الْبَيْنِ لا يُؤِنُّوا» (الأنعام: 112). فمن شرح الله صدره للإسلام بأن يوسع قلبه للتوحيد والإيمان فقد مدني إلى صراط الله المستقيم وهو هذا الدين الذي شرعه الله لنبيه محمد ﷺ بما أوحاه إليه من القرآن فهذا طريق ربك ودينه الذي ارتضاه لنفسه وجعله مستقيماً لا عوج فيه فاستقبل عليه بإحلال حلاله وتحريم حرامه فقد بينه الآيات والحجج على حقيقة ذلك وصحته لم تذكر واعتبر بذلك الآيات.

(1) انظر: التفسير القيم ص (340، 312).
(2) انظر: تفسير الطبري (9:53)، وابن كثير (9:1364، 1366).
قال تعالى: ﴿وَأَرَّكَّهَا صَبْرٌ مَّسْتَقِيمٌ فَأَلْهُمَا فَأَلْهُمَا وَلَا تَنْثِبُوا الْشَّيْبَ الْقَفْرَ﴾ [الأنعام: 103].

ويأتي شرحها قريباً إن شاء الله في الفقرة «ثامناً».

خامساً: أن الله تعالى وصف بها نبيه وصفبه من خلقه محمدًا ﭼ ﷺ:

كما قال سبحانه: ﴿فَأَسْتَغْفِرُكَ اِلَّهُ إِلَّا كَيْفَ عَلَى صَبْرٍ مَّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: 43] فأتمر الحق تبارك وتعالى نبيه محمدًا ﭼ ﷺ بأن يستمسك بهذا القرآن، والسين والناء مزيدان للطلب يقول: استمسكت بالشيء إذا تحربت الإمساك به فأتمر الله نبيه ﭼ ﷺ بالأخذ بالقرآن فإنه الحق وما يهدى إليه هو الحق المفضي إلى صراط الله المستقيم الموصل إلى جنان النعيم والخير الدائم المقيم.

سادساً: أن الله تعالى هدى نبيه ﭼ ﷺ إليها وأمره بدعوة الناس إليها:

كما قال تعالى: ﴿فَأَنْجِسْ هُدْيَ عِيْنِي إِلَى صَبْرٍ مَّسْتَقِيمٍ يَدُبُّ نَارَۢا صَبِرَةً﴾ [الأنعام: 111]، وهدابة الله لنبيه وخليله محمد ﭼ ﷺ لا تكون إلا للأفضل والأكمل كما دلت هذه الآية على أن الاستقامة هي ملة خليل الرحمن نبي الله إبراهيم ﭼ ﷺ.

وقال تعالى: ﴿وَزَكُّيْلَ لَتَبْدِئَ إِلَى صَبْرٍ مَّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 54] فألختي ﭼ ﷺ اجتهابه ربه وهدى إلى الصراط المستقيم وهو يهدي الناس إلى ما هداه الله إليه.

(1) الطبري (200/427)، وابن كثير (148/7/2)، ومفردات القرآن للمراغي مادة مسك ص(269).
سابعاً: أنها وصف لما جاء به الخليتان محمد وإبراهيم عليهما

الصلاة السلام:

قال تعالى: «قل إني نذكي نذكر أن عزرئيل مسيح بن مريم لا يستقيم في حياتي إلّا أنا» (الأنعام: 111). أي: قل يا محمد لهؤلاء المشتركون العاديين بربهم الأوثان والأصنام إنني أرشدني ربي إلى الطريق القوي وهو دين الله الذي بعثني به وهو الحنيفية السمحية المستقيمة ملة إبراهيم الذي لم يكن مشركاً بالله تعالى.


ثمانيًا: أوصى الله عباده بها وأضافها إلى ذاته المقدسة وأمره لنبيه

بأن يدعو الناس إليها:

كما قال تعالى: «وأنا هذا صرعي مسلمًا فأسقيوني ولا تغفروني المشبًّا فنفرويكم عن سبيلي أذلكم وصنعكم به لعلكم تنتفون» (الأنعام: 103).


ولا تشركون والشركاء» ولا تشركوا› أثنا ومن حرم الله وما ظهر منه وما تملأ الباطن ولستوا لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً لا تكُنتم ناساً إلا يقال لكم تأتيوه ولهكم السماوات والأجَوْن والجَوْن بألفْبَطً ولا تشركوا إلا الله وحده لا إله إلا هو

(1) انظر: تفسير الطبري (10/244، 245، 246)، ابن كثير (3/140).
بِهِ: هو ضررًا يعني طريقه ودينه الذي ارتضاه لعبادة ﷺ يعني قريباً لا أعوجاه به عن الحق فاتبعوه واعملوا به واجعلوه لأنفسكم منهجاً تسكونوه ولا تسلكوا طريقاً سواه، ولا تشركوا منهجاً غيره، ولا تبغوا ديناً خلافه من اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان وغير ذلك من الملل فإنها بدع وضلالات ﷺ أي: تنستبت بكم في أنفسكم إن اتبعتم السبل المحددة التي ليست لله سبيل ولا طريق ولا أديان، ﷺ يعني عن طريقه ودينه الذي شرعه لكم وارتضاه وهو الإسلام الذي وصى به الأنبياء وأمر به الأمم قبلكم، ﷺ هذا ما وصاكم به ربكم ﷺ لتكون في أنفسكم فلا تملكوها، وتحذروا ربك فيها فلا تسخطوها عليها فيجل بكم نقتته وعذابك.

وقال ابن عاشور: والإشارة إلى الإسلام: أي وأنَّ الإسلام صراطي؛ فالإشارة إلى حاضر في أذهان المخطوبين من أثر تكرر نزول القرآن وساع أقوال الرسول عليه الصلاة والسلام، بحيث عرف الناس وتبيّنوه، فنزل منزلة المشاهدة، فاستعمل فيه اسم الإشارة الموضوع لتعبين ذات طريق المشاهدة مع الإشارة، ويجوز أن تكون الإشارة إلى جميع التشريعات والمواعظ التي تقدمت في هذه السورة، لأنَّها صارت كالشيء الحاضر المشاهد، كقوله ﷺ تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاهُ النَّبِيِّ نُوحٍ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: 44].

والمقدّم: الطريق الجادة الواسعة، وقد مَرَّ في قوله تعالى: ﴿أهَيَّنَا أَلْصَبَّرُ أَمْسِكْهُ ﴾ والإجادة الإسلام كما دل عليه قوله في آخر السورة: ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ هُدًىٰ لِّذَٰلِكَ مُسْتَفَقِّرٌ يُدَبِّرٌ فِي حَيّٰذٖ إِلَّهِمْ حَيّٰذٖ﴾ [الأنعام: 161] لأن المقصود منها تحصيل الصلاح في الدنيا والآخرة فشبيه بالمقدّم الموصل السائر فيه إلى غرضه ومقصده.

ولما شبى الإسلام بالضُّرْف وجعل كالشيء المشاهد صار كالطريق

(1) الطبري (٢٦٩/٩، ٢٧٠).
الواضحية البيئة فاذعي الله مستقيم، أي: لا أعجج فيه لأن الطريق المستقيم أيسر سلوكاً على السائر وأسرع وصولاً به.


وقال تعالى: «إِنَّكَ أَنتُ أَقْرَمُ جَمِيلًا مَنْساكَةً هَٰذَا نَبِيُّكَ فَلا بِتُذْهَبَنَّكَ فِي أَلَامِ» [الحج: 77]. فأمر الله نبيه بدعوة مخالفيه من المشركين بالله في النسك إلى اتباع أمر الله في ذلك وأن يستجبوا الذبح لغير الله والأكل مما ذبح لغير الله. «إِنَّكَ لَمَّن هُدِّي فَمُسْتَقِيمٌ» غير زائغ عن الحق والصواب الذي أمره به ربك (1).


(1) انظر: تفسير الطبري (16/520-529).

وفي الآية دليل على أن جميع الرسل عليهم السلام على صراط مستقيم.

وقال تعالى: «فَاسْتَمِعْنَا بِلَّدَنَّكَ أُوْلَٰئِكَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى صِرْطٍ مُصْسَمٍ» [الزخرف: 43].

قال الشركاني: «فَاسْتَمِعْنَا بِلَّدَنَّكَ أُوْلَٰئِكَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى صِرْطٍ مُصْسَمٍ» أي: من القرآن وإن كذب به مكذب «إِنَّ اللَّهَ عَلَى صِرْطٍ مُصْسَمٍ» واضح والجملة تعليم لقوله: «فَاسْتَمِعْنَا بِلَّدَنَّكَ أُوْلَٰئِكَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى صِرْطٍ مُصْسَمٍ».


ثانياً: أن الله يُجبتي ويصطفى لها خيرته من أنبيائه وخلقه:


(1) انظر: تفسير القروي (16/2).
(2) انظر: تفسير القروي (5/4).
(3) انظر: تفسير الطبري (17/91)، وابن كثير (2348/9).
وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى سَبِيلٍ مُّسَتَّقِيمٍٛ} [النور: 62] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الاستقامة على الحق وشرع الله ودينه مكان رفيع شريف إنما يجتني الله خيره من خلقه.

عاشراً: أن الاستقامة هي الطريق الذي هدى الله عباده المؤمنين:

كما قال تعالى: {فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لَمَّا أَخْتَلَّواْ فِيهِ} [البقرة: 213].

قال الربيع بن أنس في قوله: {فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لَمَّا أَخْتَلَّواْ فِيهِ} من أَلِيْلِي؛ أي: عند الاختلاف أنهم كانوا على ما جاءت به الرسول قبل الاختلاف، أقاموا على الإخلاص لله وحده، وعبادة لا شريك له، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فأقاموا على الأمر الأول الذي كان قبل الاختلاف، واعتززوا الاختلاف، وكانوا شهداء على الناس يوم القيامة ... وكان أبو العالية يقول: في هذه الآية المخرج من الشبهات والضلالات والفتنة.

وقوله: {إِذْنِي} أي: بعلمه، بما هداهم له. قاله ابن جرير: {وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء} أي: من خلقه {إِلَى سَبِيلٍ مُّسَتَّقِيمٍ} أي: وله الحكم والحجة البالغة (١).

وقال سفيان بن عيينة: {وَإِنَّ اللَّهَ لَهُدَايُ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى سَبِيلٍ مُّسَتَّقِيمٍ} {الحج: ٤٥} أي: في الدنيا والآخرة - وهذا وعد من الله لا يتخالف - أما في الدنيا فيرشدهم إلى الحق واتباعه، ويوقفهم لاختلاف الباطل واجتنابه، وفي الآخرة يهديهم إلى الصراط المستقيم، الموصل إلى درجات الجنتين ويزحزهم عن العذاب الأليم والدركتين (٢).

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢٠٠٣/٥٣٠).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢٤٠٤/٥).
الاستقامة في القرآن الكريم

الحادي عشر: أنها من أخص صفات الأخيار والصالحين:

قال تعالى: «وَلَيْكَ حَجَّةُ عَلَىٰ نَفْسِكَ إِلَّاً وَقَرْبُكَ مَنْ تَقُولُ إِنَّ رَبُّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَهَضِنَا لَهُ إِنْ تَحْقِقُ وَيَعْمَلُوٰ صَالِحًا هَذِينَ وَلَوْ جَآءَنَا مِنْ قَبْلُ وَمَنْ ذَيَّنَ بهُ وَلَوْ كُتِبَ لَدُرِّيَّينَ دَاوَى وَتَسَهَّلَ أَلَّا ذَيَّنَ وَلَوْ كَفَٰرٌ وَمَوَسَى وَهَدَّنا وَلَكَ وَفَرَّنَا مِنَ الْمَلَأِينَ وَلَيْسَ مِنْ أَلْيَأٍهُمْ وَلَدُرِّيَّينَ وَلَجَزَى وَلَجَزَى وَلَجَنَّةَ وَلَصَلِّيۡ فَصُنُّنَا عَلَى النَّذِئِينَ وَلَمْ نُؤْتِيْهِمْ وَلَجَزَى وَلَقَىٰ وَلَجَنَّةَ وَلَجَنَّةَ وَلَصَلِّيۡ فَصُنُّنَا عَلَى النَّذِئِينَ» [الأعراف: 8 – 7].

[الأنعام: 90].

ولأيام الآيات على ثمانية عشر نبأ من أنبياء الله وألحقتهم بهم

جملة من أبائهم وذرائهم وإخوانهم الذين ساروا على منهجهم، وابتعوا ما

جاوز به من هدى، فجمع هؤلاء اصتفاهم الله تعالى وهداهم إلى

الاستقامة وسلوك الصراط المستقيم، ثم قال لبنيه: «أوْلَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَٰئ

اللهُ لِيَهْدِي لِهِمْ آٓمًا فَآتَدُواٰ» [الأعوراف: 8 – 7].

وقال في الصفات عن موسى وهارون: «وَقَهَّنِي هُمَا أَلْيَأٍهُمَا وَلَصَلِّيۡ» [الصافات: 118].

وقال عن خليليه إبراهيم عليه السلام: «إِنِّي أَرِيكُمُ كَانَ أَمْرًا قَانِنًا لَّهُمَا حَيَآآ وَلَّوْ كَيْنُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ سَاكِنِي لِآمَنِيَّ إِبْرَاهِيْمَةَ وَهَذِيَةَ إِلَىٰ صَرَطَ مَسۡنُونَ» [الحل: 120، 121].

الثاني عشر: أنها وصف للقرآن والكتب السماوية المنزلة لهدية

البشرية:

قال تعالى: «فَلَيْسَ بِالْكِتَابِ أَنْ تَأْخُذَ عَيْدَهُمَا وَلَوْ وَجَعَلْ أَلْمَ عَيْمًاۡ بِكَيْنُوفُكُمَا فَيَكُونُ شَيْءًا يَمِينًا وَبِتُبْنِيَ الْمُسۡلِمِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّلِّيۡنَ» [الكهف: 21].

الأكمام = 41
قال الشيخ ابن عاشور في توضيح: "الكتاب" أي: القرآن سمي كتبًا لأنه يكتب أو لأنه جامع، لأن الكتاب بمعنى الجمع، وهذا يقال: الكتابة يعني المجموعة من الخيل، والقرآن صالح لهذا، وهذا فهو مكتوب وهو أيضاً جامع... و(잼اء) أي: مستقيماً غاية الاستقامة.

ذكر هنا نفي العبد أولاً ثم إثبات الكمال ثانياً وهكذا ينبغي أن تخلي المكان أولاً ثم تضع الكمال، ولذا يقال: "التخلية قبل التحلية".

وقال تعالى: «لَوْ بَنَىَ الْذَّانِي كَفَرُواْ بِهِ أُرْضَيْنِ » (البقان: 39) فيهما كتبات متفقين على تأييهم الديني.


الثالث عشر: أنها وصف للدين كله:

في جميع جوانبه وتكاليفه الشرعية فالكل غاية في الاستقامة لما يترتب عليه ذلك من جلب المصالح ودفع المضار، قال تعالى: "ذُكِّ رَبَّكَ الْقُلُوبَ " (البقرة: 262)، "أَمّا الَّذِينَ آمَنُواْ إِلَىٰ ذِكَّ رَبَّكَ الْقُلُوبَ " (بقرة: 263). وقال الله تعالى: "وَمَا أُيُّنِبَ إِلَّاٰ يَتَبَيَّنُ لِلَّذِينَ عَظِيمُ الْحَقَّ فَيَتَبَيَّنُواْ الصَّلَاةُ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ذَلِكَ دِينُ الَّذِينَ خَيْرُوهُ وَيُصَلُّونَ عَلَىٰ الْقُرْآنِ " (البقرة: 5).

(1) انظر: تفسير سورة الكهف ص(89).
(2) انظر: تفسير جزء عم ابن عاشور ص(277)، والتفسير في القراءات السبع ص(155).
الفصل الثالث
متعلقات الاستقامة

أولاً: في جانب العبادة:

تقدم معنا في فصل الاستقامة أن الله تعالى وصف الأديان السماوية بها وأمرنا بإقامة الدين كله ولكن الأصل في ذلك في جانب العبادة ومتعلقه الذي لا يقوم مع فساده أي جانب من جوانب العبادة هو التوحيد وإلا فإن الاستقامة هي الدين كله، وللهذا جاء في الصحيح عند مسلم وغيره من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله، فلم يلم في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أبداً غيرك. قال: قل آمنت بالله ثم استقم(1).

والاستقامة هي سلوك الصراط المستقيم وهو الدين القيم من غير تعرض عنه بمنة ولا يسره، ويشمل ذلك الاستقامة على التوحيد وفعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الدين كلها(2).

قال ابن رجب وفي قوله: "أَتْقِنِيْنَا إِلَيْهَ وَآسِفْنَا" (نصت: 6) إشارة إلى أنه لا بد من تقصير في الاستقامة المأمور بها فيجر ذلك الاستغفار والمقتضى للنوبة والرجوع إلى الاستقامة فهو كقول النبي ﷺ لمعاذ: "اتق الله حينما كنت وأتبع السيرة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن(3).

(1) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب جامع أوصاف الإسلام (1/38) رقم (193).
(2) جامع العلم والحكم ص(193)
(3) جامع العلم والحكم ص(193)، والحديث رواه الإمام أحمد في المسند (153/5)، والأخير في سنن بن حبان والصلاة - باب ما جاء في معاشرة الناس (313/44) رقم (1988) والدارمي في سنن (2/799) رقم (1373) (2/362) رقم (1373)
فأصل الاستقامة وحقيقتها استقامة القلب على توحيد الله كما تقدم في تفسير أبي بكر ﷺ لليلة (١) إن الله ﷺ قال "خيراً پناهُ إذاً أستقاهموا" (٢) نصل: آي: على توحيد الله ولم يلتقيوا إلى غيره.

قال ابن رجب ﷺ: ولعل من قال: إن المرأة الاستقامة على التوحيد إنما أرادا التوحيد الكامل الذي يحمى صاحبته على النار، وهو تحقيق معنى لا إله إلا الله، فإن الله هو الذي يطاع، فلا يعصف خشية وإجلاعًا وميامرة ومحبة ورجاء وتوكيلا ودعاء، والمعاصي كلها ناداة في هذا التوحيد؛ لأنها إجابة لداعي الهوى وهو الشيطان، قال الله ﷺ: (٣) من أنتُنِّي إلهٌ (الجاثية: ١٣) قال الحسن وغيره: هو الذي لا يهوى شيئاً إلا ركب، فهذا ينافي الاستقامة على التوحيد (٤).

وفي الحديث عن ثوبان ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إستقيموا ولن تحضوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن (٥)«.

قال ابن القيم ﷺ: والمطلوب من العبد الاستقامة وهي السداد فإن لم يقدر عليها فالمقارنة فإن نزل عنها: فالنفي والإضافة كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "سادوا وقربوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم يعمله، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: (٦) لا أنا إلا أن يفعلني الله برحمته منه وفضل (٦)«.

فالسداد هو حقيقة الاستقامة، فجمع في هذا الحديث مقامات الدين كلها فأمر بالاستقامة وهي السداد والإصابة في النيات والأقوال والأعمال،

(١) جامع العلوم والحكم (١٠٩/١).
(٢) تقدم تخريجه ص (١١).
(٣) أنظر: صحيح البخاري مع ألفتح كتاب المرضى - باب تمني المريض الموت (١٢٧/١٣) رقم (٨٦٢)، صحيح مسلم - كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢١٧٠/٥) رقم (٢٨١٦).

الإجابة = ٤٢
وأخبر في حديث ثوبان: أنهم لا يطبكونها فنقلهم إلى المقاربة وهي أن يقربوا من الاستauceمة بحسب طاقتهم كذالك يرمي إلى الغرض فإن لم يصبه يقاربهم ومع هذا فأخبرهم: أن الاستauceمة والمقاربة لا تنجي يوم القيامة ولا يركن أحد إلى عمله ولا يعجب به ولا يرى أن نجاته به بل إنما نجاته برحمة الله وعفوه وفضله. فالاستauceمة كلمة جامعة آخذة بجماع الدين وهي القيام بين بدي الله على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد والاستauceمة تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات فالاستauceمة فيها: وقوعها لله وبياته وعلى أمر الله قال بعض العارفين: كن صاحب الاستauceمة لا طالب الكرامة فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة وربك يطلب بالاستauceمة.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدّس الله تعالى روحه يقول: أعظم الكرامة لزوم الاستauceمة (1).


فأول ما تكمل به نبي الله عيسى عليه السلام تشبهه جنب الرحب سبحانه من الشرك وتثبت منه والولد وأثبت لنفسه أنه عبد الله أوجي الله إليه وجعله نبيًا من الأنبياء، فهذا الذي قصصنا عليه يا محمد من خبر عيسى هو الحق ثم نزه نفسه عما يقول الجاهلون الظالمون المعتدون من الشرك والولد فقال:

(1) مدارج السالكين (2/109 - 110).
هاوين بن حبيبه بن حمل الدرعية

(1) تفسير ابن كثير (2220/5 - 2227).
(2) تفسير الطبري (534/15 - 540).
(3) تفسير ابن كثير (2223/5 - 2227).
لا يمكنني قراءة النص العربي من الصورة.
ولا نجاة للعبد ولا فلاح إلا باستقامة قلبه وسلامته كما قال تعالى: 
(ُدْنِيَّ مَا يَنفِّعُ مَا لِلَّهِ مِنَ الْأُمَّةِ مِنْ أَنَّ اللَّهَ يَقْلِلُ ضَرْرًا) [الشعراء: 88] 89
(أَيَّ سَلَامٌ مِنَ الدُّنِيَا وَالشَّرْكِ).

قال محمد بن سيرين: القلب السليم أن يعلم أن الله حق، وأن
الساعة آتيه لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. وقال ابن عباس: 
خلق يشهد أن لا إله إلا الله. وقال مجاهد، والحسن، وغيرهما: يعني:
من الشرك. وقال سعيد بن المسيب: هو القلب الصحيح، وهو قلب
المؤمن؛ لأن قلب الكافر والمنافق مريض، قال الله: (وَفِي قُرُونِهِمْ) [البركة: 10].

فالمراد سلامته عن الاعتقادات والإرادات الفاسدة كما يقول شيخ
الإسلام خليفة.

فمتى استقام القلب على معرفة الله، وعلى خشية، وإجلاله، وميانته,
ومحبته، وإرادته، ورجائه، ودعائه، والتوكيل عليه، والإعراض عما سواه،
استقامت الجوارح كلها على طاعته، فإن القلب هو ملك الأعضاء، وهي
جنوده، فإذا استقامت الملك، استقامت جنوده ورعاياه، وكذلك فسر قوله
تعالى: (فَأُؤْمِنُواْ وَجَهَّلُواْ اللَّهَ تَحْيَّاً) [الروم: 30] بإخلاص القصد لله وإرادته
وحده لا شريك له.

وأعظم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح للسان، فإنه
ترجمان القلب والمعبر عنه، ولهذا لما أمر النبي ﷺ بالاستقامة، وضّاه بعد
ذلك بحفظ لسانه.

انظر: تفسير ابن كثير (٢٥٨٦/٦).
(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٣٧/٩)
(٢) جامع العلم والحكم (١٠١/١)
 والاستقامة في القلب تحصل بآمين:

الأول: أن تكون محبة الله عند العبد مقدمة على جميع المحاب فإذا تعارض حب الله وحب غيره سبق حب الله كل ما سواء وترتب على ذلك مقترضاً من تعظيم الله وأمره.


ويحسب هذا التعظيم تكون استقامة القلب وكامل إيمان المرء وصدقه وصحة عقليته وبعده عن الشرك ومخالفته الأمر والنهي وتفاوض الأعمال عند الله تعالى يكون بحسب تفاوض ما في القلوب من استقامة على أمر الله وما فيها من إيمان وإخلاص ومحبة وتواضع ذلك. فالسهر إلى الله تعالى حقيقة هو سير القلوب فإذا استقامت القلب وصح عمله واعتفاده وصدق في ذلك فقد ينال العبد الأجر الكامل المتزلف على فعل الطاعة ولو لم يعملها لعارض من عجز أو مرض أو نحوه يشهد لذلك قوله تعالى في سورة براءة: {وَلَا عَلَى الْيَزِيدِ إِذَا مَا أَوْلَدْتُمُوهُمْ كَلَّمْتُهُمْ لَا أَيْسَ مَا أَجْعَلْتَ مِنْهُمْ عَلَىٰ قُوَّةٍ وَأَضَلُّهُمْ بِقَبْضَةٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ حَكْرًا أَلَّا يَفْتَرُونَ} [التراب: 91] فإنها نزلت في اليكين الذين لم تكون لهم رواحل يبلعون عليها الجهد في سبيل الله يوم تبوق ولن يكن عند رسول الله ما يحملهم عليه٦.

1. انظر: الوابل الصيب ص(13)، ومدارج السلاكين (517/2)، ومراوطة يشيوه الإسلام هنا أبو إسماعيل الهروي صاحب منزل السائر الذي شرح ابن القيم في مدارج السلاكين.
2. رواة الطبري في تفسيره (224/11، والواحدي في أسباب النزول ص(296، وغيرهم.)
وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: بعد أن قفل من تبوك راجعاً وداناً من المدينة: "إن بالمدينة أقومًا ما سرتم من مسير ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم فيه". قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: "وهم بالمدينة حيسهم العذر"، وفي لفظ لمسلم: "شركوكم في الأجر".

فانظر إلى من استقامت قلوبهم وصح عزمهم على فعل الطاعة
كتب الله لهم أجر العاملين كاملاً لما علم الله صدق ذلك منهم مع أنهم لم يعملوا بسبب العجز الذي حال بينهم وبين ذلك. فاندروا أجر العاملين كاملاً بسبب استقامة قلوبهم; هذا في جانب ترك فعل المأمور. وكذلك الأمر في جانب فعل المحذور إذا اضطر إليه عبد أو أمره على فعله ما دام قلبه مستقيماً لا عوج فيه ولا ميل ولا انحراف فإنه لا يكتب عليه من الوزير شيء

الثقة

يشهد لذلك قوله تعالى: "من صبر يلاده من عقيد إيمانه إلا من أَسْكَرَ وَقَلْبَهُ مَطْلُومٌ يَلَدُّهُنَّ وَلَبِينَ وَلَا مَيْتً يَرْكَبُهُنَّ صَدَا فَعَلْبِهِ عَصْبَتَا إِلاَّ اللَّهُ وَلَهُ الْعَلِيمُ" (الحج: 107). فإنها نزلت في عمر بن ياسر حين عذبه المشروكون حتى يسب النبي ﷺ، ويصدح آلهتهم. وفي بعض الروايات حتى يكفر بالنبي ﷺ فوفاقهم على ذلك مكرهاً فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فقال: "كيف تجد قلبك؟" قال: مطمئناً يا رسول الله. قال: "فإن عادوا فقد".

فانظر كيف تجاوز الرحب سبحانه وتعالى عما ظاهره الكفر مع استقامة القلب واطمنان بالإيمان لما كان قاتل ذلك مكرهاً. ويقدر ما في القلوب من

---

(1) انظر: صحيح مسلم، كتاب الإجازة، باب ثواب من حبمه عن الغزو مرض أو عذر
آخر (1558/31) رقم (1911).
(2) رواه الطبري في تفسيره (374/14، 375/14، 373/2) والواحدي في أسباب النزول ص (326).
الاستقامة في القرآن الكريم

استقامة وإيمان يعظم العباد عند الله تعالى. ولهذا كان أبو بكر أفضل الأمة بعد نبى الله. لما تحقق في قلبه من الاستقامة وكمال الإيمان مع أن في الأمة من هو أكثر عملاً وحباً وصوياً وجهاداً وقراءةً منه، قال التابعي الجليل أبو بكر ابن عباس رضي الله عنهما: ما سبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاته ولكن بشيء وقري في قلبه.(1)

وإذا حاد القلب عن طريق الاستقامة وإعوج ولم يستقيم على شرع الله لا ينفعه العمل آنذاك مما كثر وليعتبر بحال طائفتين حادثاً عن الجادة في ذلك فخابتاً وخسرتاً:

الأولى: المعافقون الذين كانوا يصلون مع الرسول ويجاهدون معه ويجرون معه ومع ذلك قال الله عنهم: "إِنَّ الَّذِينَ تَطَوَّقُونَ فِي الْذِّرَاعِ الْأَسْلَنِي مِنَ النَّاسِ وَلَنْ يَجْهَزْ لَهُمْ تَصِيرًا" (النساء: 145). وما ذاك إلا لفساد قلوبهم وانحرافها وعدم استقامتها وخلوها من الإيمان.

الثانية: الخيارج الذين قال فيهم الرسول: "ليخرج في هذه الأمة قوم تحرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقيهم - أو حثاجهم - يعرقون من الدين مروق السهم من الرمية".(2)

فلم ما خلت قلوبهم من الاستقامة والإيمان لم تتفهم تلك الأعمال الظاهرة التي يحرق المؤمنون أعمالهم معها في ظاهرها لأنهم لم يعتنوا بأساسها وأصولها وهو استقامة القلب وصلاحه.

---

(1) انظر: منهج السنة النبوية لأبن تيمية (223/6)، (843/8).
(2) انظر: صحيح البخاري مع الفتح كتاب الزكاة - باب إثمن من رأى بقراءة القرآن (99/907)، وصحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب ذكر الخوارج وصفاتهم (747/147)، من حديث أبو سعيد الخدري.

ولهذا تعود من تكر عن دعائه وتزوّجه بدخول جهيم وهو صاغر ذليل.

فالدعاء سلاح المؤمن وهو مأمور به في كل حين، خصوصاً ما يتعلق منه بالهدية والاستقامة ولذلك أمرنا الله به في أفضل العبادات بأن نقول في كل ركعة من ركعات صلاتنا فرضنا كانت أم نفلاً: «أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.» [الفاتحة: 1].

وحاجة العبد إلى سؤال هذه الهدية ضرورية في سعادته ونجمته، وفلحؤه أعظم من حاجته إلى الرزق والنصر بل لا نسبة بينهما فمن مات بالانقطاع الرزق أو مات شهيداً في سبيل الله كان موتاه موصلاً له إلى سعادته الأبدية إن كان من أهل الهدية والاستقامة فالعبد مضطر إلى مقصود هذا الدعاء فلا نجاة من العذاب ولا وصول إلى السعادة إلا بهذه الهدية.(1)

(1) مجموع الفتاوى (1437/1440).
وما في الفاتحة من الشروع والدعاء وهو قول: أُهِدِّيَ الْصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
الفاتحة: 67 [الصحيح: 3] هو أفضله دعا دعا به العبد ربه وهو أوجب
دعاء دعا به العبد ربه، وأفع دعا دعا به العبد ربه، فإنه يجمع مصالح
الدين والدنيا والآخرة، والعبد دائماً يحتاج إليه لا يقوم غيره مقامه، فلو
حصل له أجر تسعة أشعار القرآن - دع ثلثه - ولم يحصل له مقصود هذا
الدعاء لم يقم مقامه، ولم يسد مسده(1).

وقال شيخ الإسلام: ومعنى هذا الدعاء أُهِدِّيَ الْصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
طلب العلم بالحق والعمل به جميعاً(2).

وقال أيضاً: وهذا كما يقول بعضهم في قوله: أُهِدِّيَ الْصِّرَاطَ
الطريق الصحيح، أُهِدِّيَ الْصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، أُهِدِّيَ الْصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
فيقولون: المؤمن قد هدى إلى الطرقات المستقيمة، فأي
فائدة في طلب الهدى؟! ثم يجيب بعضهم بأن المراد ثبتاً على الهدى كما
تقول العرب للنائمين: نم حتى آتيك، أو يقول بعضهم: ألزم قلوبنا الهدى,
فخذف الملزوم، ويقول بعضهم: زدني هدى، وإنما يردون هذا السؤال;
لعلم تصورهم الطرقات المستقيمة الذي يطلب العبد الهدى إليه، فإن المراد
به العمل بما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه في جميع الأمور، والإنسان
وإن كان أقر بأن محمدًا رسول الله، وأن القرآن حق على سبيل الإجمال,
فأكثر ما يحتاج إليه من العلم بما ينفعه ويدبره، وما أمر به، وما نهى عنه
في تفاصيل الأمور وزجاتها لم يعرفه، وما عرفه فكثیر منته لم يعمل
بعمه، ولو قدر أنه بلغه كل أمر ونهاي في القرآن والسنة، ففالقرآن والسنة
إنهما تذكر فيهما الأمور العامة الكلية، لا يمكن غير ذلك لا تذكر ما يخص

(1) مجموع الفتاوى (131/17 - 132).
(2) مجموع الفتاوى (166/7).
به كل عبد؛ ولهذا أمر الإنسان في مثل ذلك بسؤول الهدى إلى الصراط المستقيم.

والهدى إلى الصراط المستقيم يتناول هذا كله، يتناول التعريف بما جاء به الرسول مفصلاً، ويتناول التعريف بما يدخل في أوامره الكليات، ويتناول إلهام العمل بعلمه، فإن مجرد العلم بالحق لا يحصل به الاهتداء إن لم يعمل بعلمه، ولهذا قال الله سبحانه بعد صلح الحديثة: {إِنَّمَا يَقْضِيُّ اللَّهُ مَا تَقْضِيُّ الْمُجَابَهَةُ وَمَا تَأْخُرُ وَمَا يَضْرِبُ عَلَيْكُ وَيَشْرَأُ صِرَاطًا تَنْبِدُكَ} **[[الفتح: 1]]**.[**[الصفات: 168، 118]]**

والمسلمون قد تنادوا فيما شاء الله من الأمور الخبرية والعلمية الاعتقادية والعملية، مع أنهم كلههم متفقون على أن محمدًا حق، والقرآن حق، فلو حصل لكل منهم الهدى إلى الصراط المستقيم فيما اختلقوا فيه لم يختلفوا، ثم الذين علموا ما أمر الله به أكثرهم يصنعون ولا يحتذون حذوه، فلو هدوا إلى الصراط المستقيم في تلك الأعمال؛ لفعلوا ما أمروا به وتركوا ما نهوا عنه، والذين هداهم الله من هذه الأمة حتى صاروا من أولياء الله المتقدمين كان من أعظم أسباب ذلك دعاهم الله بهذا الدعاء في كل صلاة، مع علمهم بحاجتهم وفاقتهم إلى الله دائماً في أن يهديهم الصراط المستقيم.

فبدوا هذا الدعاء والاتقرار صاروا من أولياء الله المتقدمين.

قال سهل بن عبد الله التستري: ليس بين العبد وبين بره طريق أقرب إليه من الاتقرار، وما حصل فيه الهدى في الماضي فهو محتاج إلى حصول الهدى فيه في المستقبل وهذا حقيقة قول من يقول: ثبتنا وأهدنا لزوم الصراط. وقول من قال: زدنا هديًا، يتناول ما تقدمن، لكن هذا كله هدى منه في المستقبل إلى الصراط المستقيم، فإن العمل في المستقبل بالعلم لم يحصل بعد، ولا يكون مهذباً حتى يعمل في المستقبل بالعلم، وقد لا يحصل العلم في المستقبل بل يزول عن القلب، وإن حصل فقد لا يحصل
الاستقامة في القرآن الكريم

العمل، فالناس كلهم مضطرون إلى هذا الدعاء؛ ولهذا فرضه الله عليهم في
كل صلاة، فليسوا إلى شيء من الدعاء أحرج منهم إليه، وإذا حصل الهدى
إلى الضرائب المستقيم حصل النصر والرزق وسائر ما تطلب النفس من
السعادة، والله أعلم. (1)

قال ابن عطية: وهذا الدعاء إنما أمر به المؤمنون وعندهم العادات
وعدد كل واحد بعض الأعمال فمعنى قوله: «أهديت» فيما هو حاصل
عندهم طلب التشييت والدوام فيما ليس بحاصل إما عن جهة الجهل به أو
التقصير في المحافظة عليه طلب الإرشاد إليه وكل داع بهذا الدعاء إنما يريد
الضرائب بكماله في أقواله وأفعاله ومعتقداته فيحسن على هذا أن يدعو في
الضرائب على الكمال من عنده بعضه. (2)

وليس هذا مقصوراً على جانب العلم الشرعي وإن كان هو المقصود
الأساسي والغاية العظمى لكن الاستقامة في ذلك تشمل جميع جوانب العلوم
حتى العلوم الدنيوية لترقى بالأمة وتجلب لها السعادة ومنى استقامة العباد في
ذلك فإنه يضيف الجديد المفيد خصوصاً المسلم لأن عنده من الحوافز
والدوافع الإلهية ما يدفعه إلى التعليم ونفع البشرية؛ ألا وهو عظيم الأجر
الذي يزجوه من الله في الآخرة «فَتَمُّ عَمَّالَةٌ يَصِيبُ اللَّهُ بِهَا يَسْرً» ( البقرة: 47) 
[الزمر: 47]، إضافة إلى ما وعده الله به من الفتح ومزيد العلم والمعرفة في
dنيا واتغافل أحدكم عن حسن الاستقامة فإن عيناه من الفتح وعيناه من
بشر منصفين يراعون جوانب الاستقامة في هذا كله - وإن لم يكونوا مسلمين -
بدلاً من تلك التباقرات المتضارة المتضاربة في مقابله التي تكبل بها
القوى الدولية بمكيالين:

مكيال وافٍ للكفّر وأهله، ومكيال بحس للإسلام وأهله ولكن هيهات

(1) مجموع الفتاوى (106-109).
(2) المحرر الوجيز (1174/1).
لن يأتي ذلكم العدل والإنصاف بغير الإسلام والاستقامة على تعاليمه فإنهم أعز الإسلام وأهله وأخذ الكثير وأهله.

ومن آيات الدعاء بالثواب على الاستقامة والهدي قول الله تعالى: {َرَبِّي لَيْتَ مَسْأَلَةً بَعْدَ إِذَا هَدِينَا وَقَبَّ اللَّهُ نَزْحَةً إِلَّا إِنَّهُ أَنَّ الْوَقَابُ} [العمران: 8]. وهذا الدعاء من ثمار العلم إذ يصح أن يكون هذا الدعاء من تمام قول الوارشين في العلم الذين يقولون في المحكمة والمشابه: {إِنَّا يُهْدِينَا يَدَيْنَا} [العمران: 7] كما حكي الله عنهم في الآية التي قبلها ثم توسعوا إلى رحم بالثواب على الاستقامة {َرَبِّي لَيْتَ مَسْأَلَةً بَعْدَ إِذَا هَدِينَا}.

أي: لا تملها عن الهدى بعد إذ أثنتها عليه، ولا تجعلها كالدين في قلوبهم، زغ وتبغون ما تشابه من القرآن، ولكن ذنها على صراط المستقيم ودبك القويم {َرَبِّي لَيْتَ مَسْأَلَةً بَعْدَ إِذَا هَدِينَا} أي: من قبل، وتفضلاً منك لا عن سبمنا ولا عمل، وفي هذا ذال والاستسلام وأطراف بين يدي الرب وتبرؤ من الحول والقوة {َرَبِّي لَيْتَ مَسْأَلَةً بَعْدَ إِذَا هَدِينَا} أي: تبت بها قلبنا وتجميع بها شملنا وتزيدنا بها إيماناً وقيناً {ِإِنَّهُ أَنَّ الْوَقَابُ}.(1)

ثانياً: الاعتصام بالله:

والاعتصام افعال من العصمة وهي المنع والحفظ والتسمك بما يعمقك يقال: عصمه عصماً، أي: منه ووقعه مما يحذر واعتصم فلا والله، إذا امنع به. (2)

والاعتصام بالله هو التوكل عليه والامتناع والاحترام به وسوله أن يحمي العبد ويمنعه ويعصمه ويدفع عنه فإن ثمرة الاعتصام بالله هو الدفاع عن العبد وله يدفع عن الذين أمنوا كما قال تعالى: {ِإِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ}.

---
(1) انظر: تفسير ابن كثير (885/21)، والمحرر الوجيز (404/1) - (405).
(2) انظر: مادة (عصم) في لسان العرب (12/4119)، والقاموس المحيط ص (1479).
الاستقامة في القرآن الكريم

(الحج: 28) فيدفع الله عن عبده المؤمن إذا اعتصم به كل سبب يفضي إلى العطب ويحميه منه فدفع عنه الشهوات والشبهات وكيد عدوه الظاهر والباطن وشر نفسه ودفع عنه موجب أسباب الشر بعد انعقادها بحسب قوة الاعتصم به وتمكنه فتفقد في حقه أسباب العطب فيدفع عنه موجباتها ومضاباتها، ويدفع عنه قدره بقدرته، وإرادته بإرادته، وعيده به منه (1).

فمن اعتصم بالله هداه إلى الصراط المستقيم ورزقه الاستقامة على الحق وأدخله في حرمته وجنته قال تعالى: "وَمَن يَتَّقِمْ اللَّهَ فَقَدْ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" (آل عمران: 101) فالأعتصم بالله والتوكل عليه هو العمدة في الهدية والعودة في مبادعة الغواية والوسيلة إلى الرشاد طريق السدود وحصول المراد (2).

وقال تعالى: "فَأَيَامَا الْيَتَّمَّ آمَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصِمُوا بِهِ فَسَكَبَتْهُمْ رَحمَةٌ وَقَضْيَةٌ وَسَبَبُها مُسْتَقِيمٌ" (النساء: 176) أي: جمعوا بين مقام العبادة والتوكل يرحمهم الله ويدخلهم جناته ويزيدهم ثوابا ومضاعفة ورفعة في درجاتهم ويهديهم طريقا واضحا قصدا قواما لا أوعاج فيه ولا انحراف. وهذه صفة المؤمن في الدنيا والآخرة ففي الدنيا على منهج الاستقامة وطريق السلامة في جميع الاعتقادات والأقوال والأفعال وفي الآخرة على صراط الله المستقيم المفوض إلى روضات الجنات (3).

وقال تعالى: "وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ وَلَا تَفَرَّقُوا" (آل عمران: 103)

ومدار السعادة الدنيوية والأخروية على الاعتصم بالله الاعتصم بحبه، ولا نجاة إلا من تمسك بهاتين العصمتين؛ فأما الاعتصم بحبه فإنه يعصم من

---

(1) مدارس السالكين (497/1).
(2) تفسير ابن كثير (743/2).
(3) تفسير ابن كثير (1077/3).

الكمية = 45
الضلالة والاعتصام به بعضه من الهلكة فإن السائر إلى الله كالسائر على طريق نحو مقصده، فهو يحتاج إلى هديا الطريق والسلامة فيها، فلا يصل إلى مقصده إلا بعد حصول هذين الأمرين له، فالدليل كفيف بعضه من الضالة، ودلالته على الطريق والسلامة من قطاع الطريق وآياته تحصل بالعده والقوة والسلاح.

فالاعتصام بحلب الله يوجب له الهدية واتباع الدليل والعصم بالله يوجب له القوة والعدة والسلاح والمادة التي يستلهم بها في طريقه.

ولهذا اختلفت عبارات السلف في معنى العصم بحلب الله بعد إشاراتهم كلهم إلى هذا المعنى؛ فقال ابن عباس: تسكنوا بدين الله، وقال ابن مسعود: هو الجماعة، وقال: عليكم بالجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به وإن ما تكرهون من الجماعة والطاعة خير مما تحبون من الفرقة، وقال أكثر المفسرين: هو القرآن. فالاعتصام بحلب الله هو المحافظة على طاعته مراقباً لأمره، أي: القيام بالطاعة لأجل أن الله أمر بها وأحبها لا لمجرد العادة أو لعلة باعثة سوى امثال الأمر. كما قال طلق بن حبيب في التقوى: هي العمل بطاعة الله على نور من الله نوره ثواب الله، وترك معصبة الله على نور من الله تخاف عاقب الله وهذا هو الإيمان والاحتساب المثار إليه في كلام النبي ﷺ كقوله: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

والاعتصام بحلب الله يحمي من البذعة وآفات العمل.

---

1) متفق عليه من حديث أبي هريرة. انظر: صحيح البخاري مع الفتح، كتاب فضل ليلة القدر، باب فضل ليلة القدر (41) رقم (2014)، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في صيام رمضان وهو التراويح (226) ورقم 760.

2) مدارج السالكين (490 - 497).
ثالثاً: المجاهدة في السير إلى الله:

فإن من جاهد نفسه في الإقبال على الله، وتحرى الإخلاص واتبع
هدي النبي ﷺ وفقه الله للاستقامة والهدى كما قال تعالى: "أَلَمْ يَنفَعْكَ جَهَدُكُمَا \nفَي نَفَعَكُمَا لِتُهِدَّيْنَّكُمَا مُسْتَقِيمًا وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَلُّ قَوْمٍ يُعْبِدُونَ" (العنبراء: 29)، أي: الذين
هاجروا في سبيل الله واجهروا أعداءه وبذلوا جهودهم في اتباع مرضاته
لنديهم الطريق الموصلة إلينا لأنهم محسنون، والله مع المحسنين بالعون
والنصرة والهدية والثبات والاستقامة(1).

وقال تعالى: "وَرَآيَ اللَّهُ نَفْرًا مِّنَ الْأَبْنِيَاتِ إِلَى صِرْطٍ مُّسْتَقِيمٍ" (الحج: 44) فمن صدق في مقصده إلى الله، واجهاد نفسه على ذلك، فإن الله يساعد
ويوفقه للاستقامة على دينه وشرعه، قال تعالى: "وَلْيَنَفِرُوا رَأَبُّهُمْ هُدَايَةٌ وَلَبَّانٌ ۖ وَأَنَّهُمْ لَفَتَّرُونَ" (محمد: 17)، أي: الذين قصدوا الهدية وفقهم الله لها،
فهدأهم إليها، وثبتهم عليها، وزادهم فيها، "وَأَنَّهُمْ لَفَتَّرُونَ" أي: أنهم
رشدتهم(2).

وعلى قدر ما يجاهد المرء نفسه في الإقبال على الله ولزوم الاستقامة
والسير على الجادة متبعاً هدي النبي ﷺ وسلف الأمة مخلصاً في ذلك الله لا
يبتغى إلى غيره؛ على قدر ما يتعجل جبي الثمرة والتلذذ بالعبادة في هذه
الدنيا فهبون عليه كل عقبة في سبيل الله.

والأستقامة في هذا الجانب ترادف الإيمان والتوقيف فليس هناك غاية
من العبادة إذا انتهى إليه العبد يقال له: دونك لا مزيد على ذلك بل الأمر
كما قال الله تعالى - لأفضل من تعبد له : "وَأَعْفَى رَبُّكَ حَيْنَى يُبَيِّنَكَ" (آل يهود: 99).

وعلى قدر مجاهدة العبد نفسه في الاستقامة والإقبال على الله يقبل الله

(1) انظر: تفسير السعدي (79/4 - 80).
(2) انظر: تفسير ابن كثير (2319/7).
عليه ويوقفه يسدد ويبرح صدره وينبر قلبه ويفتح عليه كما في الحديث القدسي المتفق عليه من حديث أبي هريرة. قال: قال النبي ﷺ: دأب الله تعالى: أنا عند ظن عبدي يبي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفس، وإن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم، وإن تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أثاني يمشي أنيته هرولة). (1)
الفصل الخامس
درجات الاستقامة

قال ابن القيم صاحب الامام: وهي على ثلاث درجات(1).

الدرجة الأولى:

الاستقامة على الاجهد في الاقتصاد لا عادياً رسم العلم ولا متجاوزاً
حد الإخلاص ولا مخالفاً نهج السنة هذه درجة تتضمن ستة أمور: عملاً،
واجتهاداً فيه، وهو بذل المجهود واقتصاداً، وهو السلوك بين طرفين الإفراد
وهو الجور على النفس والتفريط بالإضاءة، ووقوفاً مع ما يرسمه العلم، لا
وقوفاً مع داعي الحال، وإفراد المعبدو بالإرادة، وهو الإخلاص، ووقوع
الأعمال على الأمر، وهو متابعة السنة؛ فهذه الأمور السبعة نتم لأهل هذه
الدرجة استقامتهم وبالخروج عن واحد منها يخرجون عن الاستقامة: إما
خروجًا كليًا وإما خروجاً جزئيًا والسلف يذكرون هذين الأصلين كثيرًا.

والما: الاقتصاد في الأعمال، والاقتصاد بالسنة، فإن الشيطان يشمز قلب
العبد ويخطره إن رأى فيه داعية للبديعة وإعراضًا عن كمال الأنيق للسنة
أخره عن الاقتصاد بها، وإن رأى فيه حرصًا على السنة وشدة طلب لها
لم يظهر به من باب اقتناعه عنها، أمره بالاجهاد والجور على النفس
ومجاوراً حد الاقتصاد فيها قائلاً له: إن هذا خير وطاعة والزيادة والاجهد
فيها أكمل فلا تفطر مع أهل الفتور ولا تنتم مع أهل التميم فلا يزال يبحثه
ويبرحه حتى يخرج عن الاقتصاد فيها يخرج عن حدها كما أن الأول
خارج عن هذا الحد فكذا هذا الآخر خارج عن الحد الآخر.

(1) انظر هذه الدرجات في: مدارج السالكين (2) 111، 111، بصرف.
وقد ينادي في هذه الدرجة آيات كثيرة من القرآن الكريم، فكل آية فيها سؤال الهدى إلى الصرط المستقيم تنضمن هذا، إذ لا تكون الاستقامة إلا عن علم ومعرفة بالله وما يجب له من القيام بأمره والانزجار عن نهيه ووصفه بما هو له أهل من أوصاف الكمال وتنزيهه عن كل عيب ونقص مع الإخلاص في ذلك واتباع هدي النبي ﷺ.

ومن تلك الآيات قوله تعالى: "أداً الصرط المستقيم" (الفرنسية: 6).

وقوله تعالى: "وكيف تكنون وآمنين تعلكم ملكوت الله وفسيحكم رسولكم" (ال عمران: 11).

وقوله تعالى: "ولأنا كمن أطعناه أن أ_ULكم أو أخرجوا من رجيم ما فعلتم إلا قليل من مضى ولأنتم فعلتم ما بعزمنا يب لكان حرًا لهم وأشد بسقية وريهما لا تنكرهم من لدن أجزا عظيمًا ولهِ ذيهم وسطًا مستقيمًا (66)." (النساء: 26 - 68).

الدرجة الثانية:

استقامة الأحوال: وهي شهود حقيقة تفرز الرنب الفعل وأن ما سواه محل جريان أحكامه وأفعاله فهو في مشهد الأمر والنهي والثواب والعقاب والموالاة والمعاداة والحب والبغض يتحدى مرضاه الله تعالى ويقرر معها حيث دارت وجعل القال له على ترك المحادرات وفعل المأمورات لا مجرد علمه بفساد هذه وصلاح هذه بل طاعة الله والتقرب إليه وابتغاء مرضاته سبحة تعالى، وهو في ذلك كله دائم الفضيلة لا يطفي نوره بظلمة الغفلة بل يستدم يقتله ويرى أن ذلك تحقيق له بحفظ الله وتوقيقه لا أنه
استقامة في القرآن الكريم

حصل بتحفظه واحترازه هو. فهذه ثلاثة أمور: يقظة، واستدامة لها، وشهد أن ذلك بالحق سببائه لا بالمرء نفسه، فليس سبب نطقه في نور البقية بحفظه بل بحفظ الله وان الاستقامة في هذه الدرجة لا تحصل بمجرد كسبه وإنما هي موهبة من الله وإن كان الأمر يحتاج إلى مجاهاة النفس وتريوهما على سلك طريق الاستقامة وذكى فصل الله بلوعه من يشا وعند الله ذو الفضائل الظالمين (الجمعة: 4).

ويشهد لما ذكره ابن القيم عليه: "قل إن مهندي رفيق إن مارد سمين ديناك فيما تصنع إن صلكن وشبكك وحمائك وعذاك نورٍ على الأعليمين لا شريك له وذاك أيبر وان أولا الاعليمين" (الاسماء: 161-162)، وقال تعالى: "قل إن صلت فإن أسل على نفسك وإن أهتدى فيما أوجى إلى ريب إن اسمٍ فيب ( السبب: 50)، وقال تعالى: "إنه وهو إلا يدرك لعلماء ونمن ونما ينكر إلا أن يبتح الله ربي العليمين" (النور: 27-29).

الدرجة الثالثة:

الاستقامة بترك رؤية الاستقامة، وبشهود أن الله هو المقيم له والمقدم، وأن استقامته وقيامه بالله لا بنفسه ولا بطلبه، وهذا القدر من موجبات شهود معنى اسم القيم وهو الذي قام بنفسه فلم يجعل إلى أحد وقام كل شيء به فكل ما سواه محتج إليه. إله.

ويشهد لهذه الدرجة قوله تعالى: "أَا نَتَحَا لَكَ فَتَعَامَلْ بِهِ " (فتح: 11، 2).

وقوله تعالى: "كان الناس أمة وحدة فبعث الله الت>{$USER}ب كيف نشئون و-incarnate فيهم وباختلاف فيهم يشفع" (الضعفة: 46).
قال تعالى: "وَأَلْبَضَنَّ كَانَوْا يَقْضُونَا صَلَاً وَيَقْتُلُونَ في الْطَّلْقِ مِنْ يَكِيمِ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَيَكْبُرُ الْعَذَابُ عَلَيْهِمْ مُّسْتَقِيمًا" (الأنعام: 39).

وقال تعالى: "لَقَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنْ نُورٍ وَاللَّهُ بِهِ يَهْدِي مِنْ يَكِيمِ اللَّهُ مُّسْتَقِيمًا" (النور: 47).
الفصل السادس
ثمار الاستقامة

من وفقه الرب سبحانه وتعالى لسلوك طريق الاستقامة فإنه يبني من
الثمار الحسية والمعنى الشيء العظيم ومن ذلك:

1 - حسن الخاتمة.

2 - تنزل الملكة عليه عند الموت مبشرة، ومتعلقة، ومتينة.

3 - حفظ الله له فيما وراءه من ولد وأهل ومال.

4 - تطمئن الملكة له مما هو مقدم عليه.

5 - تشير الملكة له بالجنة وما يدعو فيها من نعيم.

6 - ولاية الملكة له في الحياة وبعد الموت المفرعة عن ولاية الله.

7 - أنه في ضيافة الله - كفى بها من خاتمة - فالكرم على قدر الكريم، فكيف و قد وصف نفسه بأنه غفور رحيم يتجاوز عن السينات

ويضاعف الحسنات.

كل هذه الثمار يزفها لك أيها المؤمن قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَّارًا
رَبُّنَا أَنْ تَسْتَبِينَوا عَلَى هُمْ دِينًا أَلاْ تَعَذَّبُوا وَلَا تُحْمَرُوا وَلَا تَبْسِرُوا
بِالجَهَنَّمِ الَّتِي كُنَّا نُوحُ وَقَدْ كُنَّا أُولِيَاءَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
وَكَنْمِنَاهَا ما تَشَهَّى أَنتُمْ وَكَنْمِنَاهَا ما تَهْدُونَ أَنتُمْ عَلَى غَيْرِ عُفُورٍ
يَزِيمٍ» (فصلت: 30 - 32).

وقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اذْكُرْنِي لَنْ أُنسيَنَّكُمْ وَلَا

الرقم 96
8- التوسعة في الزراث وبركات الأرض، والأمنة من العذاب كما يبنى
به قول الحق تبارك وتعالى: {وَأَلْقَىَ اسْتِفْتَاهُ عَلَى الْأَطْرِيقَةِ لَأَشْقَّاهُمْ مَا عَدَا} [الجَبْرَى: 12، 17].

9- أنه يحضر يوم القيامة على هيئة تنثر بإكرامه وعلو منزلته وجميل
صينه .. والجزء من جنس العمل. فكما استقام وسار في الدنيا على
مرضاة الله فإنه يسير يوم القيامة على هيئة سوية مستقيمة مرفع الرأس
معتدل القامة مهندساً في سيره سالكاً طريقاً سويًا لا عوج فيه كما يدل
عليه قوله تعالى: {أَفَيْنَى مَكَا نَّمَىٰ عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَنَّ مَيْلاً سُوِّىٰ عَلَى صَيْرَةٍ} [الملك: 22].

قال ابن كثير: وهذا مثل ضرره الله للمؤمن والكافر، فالكافر
مثله فيهما هو في كم مثل من يمشي مكبًا على وجهه أي: يمشي منحنياً لا
مستويًا {على رأسه} أي: لا يدري أي سلك ولا كيف يذهب بل تائه
حائر ضال. أهذا أهدي {أَيْنَ يَنْبِئُ سُوِّىٰ} أي: منتصب القامة {على مركز
نُصْبَتْهُ} أي: على طريق واضح بين وهو في نفسه مستقيم وطريقه
مستقيم. هذا مثلهم في الدنيا وكذلك يكونون في الآخرة فالمؤمن يحرش
يمشي سويًا على صرامة مستقيمة مضفعه إلى الجنة الفيحاء، وأما الكافر فإنه
يحرش يمشي على وجهه إلى النار جهنم {كانوا الذين ظلموا وأرتجحهم وَمَا}.
(1) تفسير ابن كثير (8/3581).
الاستقامة في القرآن الكريم

الْلَّهُمَّ حَبِّّبْنِيَ بِمَرْجَعِهِمْ إِلَى جَهَّازِهِمْ أُولَٰئِكَ سَكَّانُ هَيْبَةٍ وَأَسْقَالُ سَيْبَلاً [الفرانق: 74].

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك أنه قال: يا نبي الله، يحصر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة، قال: فتناوله بلى وعزة ربنا(1).

10 - أنها من علامات الإيمان، فلا تنأتي الاستقامة إلا بالإيمان والتقوى كما يفهم من قوله تعالى: وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ لِتَفْعَّلُواْ إِلَيْهِ الصِّبْرَ وَعَزَّ اللَّهُ مَّنْ قَوِىَ [الحج: 44].

11 - أنها من علامات هديان، قال تعالى: وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دِارِ الاخْلَاقِ وَهُدِيَهُ مِنْ بَيْتٍ إِلَى صَرْطٍ مُّسَتَّقِيمٍ [يونس: 25]، وقال تعالى: وَكَانَ اللَّهُ أَنْزَلَهُ مُثْبِتًا وَاللَّهُ يَهْدِي مِنْ بَيْتٍ إِلَى صَرْطٍ مُّسَتَّقِيمٍ [النور: 42]. فمن رزق الاستقامة فهي أمارة على هدايته.

(1) انظر: صحيح البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة الفرقان، (8/492) رقم 470، وصحيح مسلم، صفة القيامة والجناء والنار، باب يحصر الكافر على وجهه.

اللاكشمة = 65